20 الدورة الأولى لأسلمة المعرفة الإنسانية

«الفعل الحضاري الإسلامي في قرونه الخمسة الأولى»

نزار العاني

مدير مركز القياس والتقويم والتطوير الأكاديمي – جامعة البحرين

❖ المؤتمر العالمي لأسلمة العلوم الإنسانية – الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا – كوالالمبور (4–6/2000).

❖ مجلة أوان، جامعة البحرين، العدد1، خريف 2002، ص 44–63 [20 صفحة من القطع الكبير جداً: 32 × 23سم، 72 صفحة A 4].

❖ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.

❖ مجال البحث (الكتاب): أسلمة العلوم الإنسانية – التراث النفسي الإسلامي

❑ ❑ ❑

يتناول البحث الدورة الأولى لأسلمة المعرفة، ويعني بها الباحث ما حدث في القرون الخمسة الأولى من العهد الإسلامي وكيف تعامل العلماء المسلمون مع المعرفة التي كانت متاحة في ذلك الوقت (يعتبر الباحث أننا الآن أمام الدورة الثانية لأسلمة المعرفة).

ويقدم الباحث للدورة الأولى على أنها تجربة إسلامية فريدة ورائعة لا غنى عنها أبداً عما نحاول اليوم فعله، ونحن أمام كم ونوع علمي ومعرفي متسع وانبهار واستلاب حضاري يزحف نحو المسلمين في عقور دورهم ومقاعد دراستهم ونهج ومنهج تفكيرهم.

تتحدث الورقة عن الأسلمة الأولى التي كانت لها ضرورات أفرزها الواقع، وأسباب أملتها الضرورات، ووسائل وأساليب لإخضاع المعرفة الإنسانية لميزان الشرع.

❋ يبدأ الباحث بالضرورات التي واجهها المسلمون في قرونهم الأولى، ليذكر منها (بتفصيل واسع):

- الفتوح الإسلامية، وانفتاح الدعوة الإسلامية لكل الناس مما فرض على الفاتحين التعامل مع مختلف الأجناس والألوان واللغات في فترة وجيزة جداً (فمعظم الفتوح حدثت في القرن الهجري الأول)، فتسارع فيه

الإختلاط من غير فسحة وقت لتراكم الخبرات التعاملية عند الفاتحين.

وكان على الفاتح أن يفهم واقعه الجديد مع الشعوب المفتوحة: يتعلم لسانهم ويسبر غور طريقة تفكيرهم وسلوكيات حياتهم ويفهم عمق تأريخهم وركائز ثقافاتهم ودعائم حضارتهم. ليقيم معهم الود ويعايشهم معايشة الند للند، يساعده في كل ذلك: دين منفتح على العلم والبناء والنماء.

- الإنفتاح الإسلامي، «فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها»، والإنفتاح الطبعي - لا التطبعي - في سمات شخصية الفاتح البدوي تلازما ليقودا - كمحرك فاعل - لبناء الحضارة الإسلامية الجديدة.

- التلاقح والتراكم الحضاري، فالحضارات تداول بين الناس والأمم، وإنما تدرك عظمة الحضارة بمدى قدرتها على تحصيل ما فات، وتمحيصه، وإبداع الجديد، والإسهام في الإضافة والتراكم الإنساني. ويفصِّل الباحث طويلاً في الحضارات التي سبقت الحضارة الإسلامية: الصينية، الهندية، الفارسية، اليونانية.

* وبعد الضرورات تدخل الورقة في الأسباب التي دفعت للأسلمة الأولى للمعرفة، يذكر منها الباحث:

- الوازع الديني والفروض الإسلامية، فهناك دفع وفيض قرآني خلق أرضية مرنة مفتوحة لاستقبال المعرفة والغوص في سبر العلوم من ناحية، وما أملته الفروض الإسلامية (من صلاة وزكاة وحج) من ضرورات لاتباع حسابات فلكية شمسية وقمرية وضبط الاتجاهات الجغرافية وتحديد مواقعها من ناحية ثانية.

- ضرورات الحكم ونوع الحاكم، فللحكم وبسط سيطرته ضروروات دافعة للتفاعل مع الواقع بكل إحداثياته: خاصة والبلاد المفتوحة بلاد حضارة وثقافة ومجد. أما الحاكم فإن الخلافة الراشدة التي أسست للدولة الإسلامية مهدت للحكم الأموي لإقامة الدولة والملك، ليَجيء

بعدها الحكم العباسي ليقيم صرح المجد والحضارة والعمران.

- ديمومة الصراع، فبعد الفتح واجه المسلم نحلاً ومذاهب كثيرة فلّسف مبادءها اللاهوتيون والفلاسفة في اتجاهات الوجود كلها عبر مئات السنين، فكان على الفاتح مجابهتها ومناقشتها واستيعابها. فكانت الحاجة ماسة إلى عقلية واعية ومنطق جديد يفهم الإسلام أولاً ليستخلص منه النظر العقلي لمواجهة الشكوك المطروحة والشبهات الكثيرة.

* أما الوسائل فإن الورقة تأتي عليها من خلال:

- الإرث الحضاري السابق واختلاف ألسنته، لأن الفتح باستثناء جزء من العراق والشام كان في أرض أعجمية. فكان اختلاف الألسن عقبة للتواصل بين المبلِّغ للرسالة والمبلِّغ بها أولاً، وبين الحاكم والرعية ثانياً، وبين واقع الحال والمعلوم من الدين بالضرورة ثالثاً.

كما أن الإرث المراد نقله إلى العربية كان متعدد المجالات والحقول من ناحية، والقراطيس والمخطوطات لم تكن جاهزة وميسورة من ناحية ثانية (يضرب الباحث أمثلة كثيرة من التراث ونقولاته في هذا المجال).

- حركة الترجمة والمترجمون، هنا يستطرد الباحث طويلاً وبتسلسل تأريخي ابتداءً بالحارث بن كندة وخالد بن يزيد إلى نهاية القرون الخمسة الأولى، بعد أن يقسِّم الباحث مراحل حركة الترجمة العباسية إلى ثلاث: من خلافة المنصور حتى وفاة الرشيد (136-198هـ)، الثانية من (198-300هـ) وهي فترة تميز بها حنين بن اسحق وقسطا بن لوقا البعلبكي، والثالثة (300-350هـ) وهي فترة تميز بها أبو بشر متى بن يونس القنائي ويحيى بن عدي بن زكريا.

وبعد التفصيل والتدليل والاستشهاد يخلص الباحث إلى أن الترجمة إلى العربية التي رعاها الخلفاء العباسيون جميعاً لم تكن عشوائياً من أجل الترجمة ذاتها وإنما كانت انتقائية هادفة.

- الخلفية الدينية والقومية للمترجمين:

ويشير الباحث إلى أن المترجمين لم يكونوا من العرب أولاً، وغالبيتهم

من غير المسلمين ثانياً، مما يرفع علامات استفهام كثيرة وردت تأريخياً بشأن الترجمة والمترجمين في هذه القرون.

ويدلل الباحث بالأسماء والتواريخ وأسماء الكتب المترجمة والشكوك حولها ليخلص إلى بعض التدليس والتلبيس على المسلمين وتسريب ثقافتهم -أي ثقافة المترجمين- ومعتقداتهم عبر هذه الترجمات، بل إن الفلسفة اليونانية قد نقلت إلى العلماء المسلمين بعد أن أخفيت وثنيتها وراء عملية التوفيق الأفلوطينية وما أدخل عليها من شروح دينية لليهودية والنصرانية بما عرف بـ «المسيحية واليهودية المفَلسَفتين.

* ثم يدخل الباحث في الفعل الحضاري للدورة الأولى للأسلمة ليحدد ملامح متسارعة متلاحقة منه:

أولاً: مرحلة الانبهار، حيث يوضح الباحث كيف انبهر الكثير من فلاسفة المسلمين وعلمائهم بالفلسفة اليونانية على وجه الخصوص، فأخذوا ونقلوا عنهم كل ما اعتقدوه أنه لا يخالف (نصاً) أو (إجماعاً) دينياً أو ليس فيها ما يعارض قرآناً أو سنة، بل زادت عند بعضهم إلى محاولة إسقاط نظريات وثنية (مثل نظرية الفيض والصوفية الأفلوطينية) على المعتقدات الإسلامية وإيجاد المبررات لها.

ثانياً: مرحلة المواجهة (الإستيعاب والاختلاف) إذ كان الانبهار جزئية مرحلية أتت بعدها مرحلة المواجهة لإعادة التوازن العقلي والفكري إلى القاعدة الأصولية المستقرة (ويفصِّل الباحث الأمثلة في أربع صفحات كاملة عن هذه المرحلة).

ثالثاً: مرحلة التطويع للأصول، فقد عمل الفلاسفة المسلمون جهدهم للتوفيق بين الفلسفة التي انبهروا بها واستطعموها من ناحية، والمظلة الإسلامية التي ينضوون تحت لوائها من ناحية ثانية. فدخول الفلسفة في التكوين والخلق والنفس والأزل والخلود والعقل فتحت أبواب النظر فيها ومحاكمتها عقدياً وأصولياً (يركز الباحث على ابن سينا والفارابي طويلاً في هذه المرحلة).

رابعاً: مرحلة الإبداع والإضافة، ورغم عظمتها في الحضارة الإسلامية إلا

أنها لم تقم في فراغ من جهة، وكانت إضافة تراكمية للبناء الحضاري الإنساني من جهة أخرى. ثم يفصِّل الباحث في هذه الإبداعات، والإضافات ويضعها في محورين:

- الجانب الطبيعي في الفلك والرياضيات والكيمياء والبصريات والأرصاد والجغرافيا والطب والتشريح والصيدله.
- الفلسفة عموماً ودراسة النفس الإنسانية والشخصية الإنسانية على وجه الخصوص (ويمثل لها الباحث من الكندي حتى ابن رشد).

خامساً: مرحلة الزيغ والضلال، فبرغم البريق والزهو والمجد الذي رافق الفعل الحضاري الإسلامي إلا أنه وقع في حالات كثيرة في الزيغ والضلال، فما من فعل حضاري إلا وفيه الغث والسمين. ثم يحدد الباحث هذا الزيغ في مواضع أربعة:

التفسير العقلي للخلق، النبوة والأنبياء، تقديس العقل، اللحن في القول وتعقيده. ثم يدخل الباحث بتفصيل كل منها مطولاً.

سادساً: النهج والمنهج، إذ لا بد لكل فعل منتج أن يكون له (نهجاً) معيناً للفعل ذاته تحكمه ضوابط وأخلاقيات، و(منهجية) تعاملية وظيفية ليتحقق على أرض الواقع.

- فمن حيث (النهج) حدد الباحث أهم ملامحه بـ: الموضوعية والأمانة العلمية، الولاية للشرع، تحديد الأولويات، إقتناء الحكمة.
- ومن حيث (المنهج) حدد الباحث أبرز ملامحه بـ: التتبع والملاحظة (المشاهدة)، التطبيق والتجريب، عملية المنهج وواقعيته.

(ويفصِّل ويدلّل الباحث ذلك في عشر صفحات كاملة عن هذه الملامح).

* ثمّ تنتقل الورقة إلى (العبرة) من ذلك الفعل الحضاري ونحن على أبواب مشروع فعل حضاري جديد (يقصد الدورة الثانية لأسلمة المعرفة التي نحن بصددها الآن).

- فبدأ الباحث بأوجه الشبه بين الفعلين: الهوة المدنية العمرانية بين

المسلمين وغيرهم، الرسالة التي يحملها المسلم، مواجهة المادية الإغريقية تحت اسم العلمانية الغربية الجديدة.

- أما أوجه الاختلاف بين الفعلين: فالمسلم كان فاتحاً ليصبح محكوماً، والمسلم الذي كان رأس الفعل الحضاري هو الآن في هوة التخلف والانحدار، و(الانبهار) الحضاري في الفصل الأول أصبح (استلاباً) حضارياً في الثاني، والأول قام على الشرع بينما يحاول الثاني أن يقوم في ظل غياب الشرع.

* ثم يستعرض الباحث أهم التحديات المواجهة للفعل الحضاري الجديد المنشود:

الغزو الفكري، التحديات العسكرية، التحديات السياسية، التحديات اللغوية والثقافية

* ثم يضع الباحث مقترحاته للفعل الجديد أو للأسلمة الجديدة للمعرفة:

- رسم استراتيجية تربوية إسلامية محددة المنهج والأسلوب والغاية
- تحديد ملامح السياسة التربوية الجديدة
- تربية الجيل تربية علمية عملية، غيبية طبيعية، متفتحة الذهن محبة للإستطلاع: على وفق سلم قيمي متحرك بتحرك الواقع الذي نعيشه، والجديد الطارئ، وكل سبيل محقق لسعادتي الدنيا والآخرة.

* وفي الخلاصة يجد الباحث أن محاولة الأسلمة الجديدة يجب أن تكون نهج أمة بكاملها عبر أجيال متلاحقة. إذ أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم حالة «تغييب النهج وغياب المنهج» ويرى أن لا مناص منهما معاً ولكن بواقع جديد.

فالإسلام واسع عريض صالح لكل زمان ومكان، ولولا سعة صدره وإتساع احتمالياته واختلاف معالجاته لما صلح لكل زمان ومكان أصلاً، ولما كان رسالة خاتمة إلى يوم قيام الساعة.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

أسلمة المعرفة الإنسانية، ضرورات ومسببات ودافع الفعل الحضاري الإسلامي، مراحل الفعل الحضاري الإسلامي، التحديات المعاصرة أمام أسلمة المعرفة الإنسانية.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

كاتب (المَسَرد) هو صاحب البحث المعروض أعلاه، ويرجو من الآخرين أن يقدموا ملاحظاتهم عنه.

obeikandl.com